بيده الخافقة ، فطمس آثار جنانها ذوات الاشجار الباسقة ، وتل قصورها الشاهقة ، ودك صروحها السامقة ، وعفى رسومها السامية ، ودرس معالمها البادية ، حتى اصبحت الى ماتراه اليوم ، فقد النسب بين القوم، يستعبدها الاغيار ، ويقودها الجهل الى هوة الفناء والدمار ، امة ذهبت اخلاقها الكريمة، باختلاطها بالاعاجم منذ الازمان القديمة ، فقدت مميزاتها النبيلة ، وصفاتها الجليلة ، وكانت قد امتازت بها في سابق الازمان عن سائر الاقوام ،اي في عهد سابق سعدها ، وتالد مجدها ، وما ذلك،وربك،الا من تقعد العرب عن امر جامعهم ، وتهاونهم في احكام مرى رابطتهم ، امر اصبح اكثره اليوم في الصدور ، لافي السطور ، وعليه ان لم تبذل الهمة ،فلم شعث هذه الامة، فلا يمضي زمن قليل ، الا وتصبح شماليل ، مضطربة النسب والتاريخ بين الاجيال ، داخلة في عداد الامم الآخذة بالزوال ، اعاذنا الله من رؤية تحقيق هذا المآل ،فذلك ولنا عودة الى هذا المقال ، سنأتي بعان شاء ربك المتعال .

ابراهيم حلمي

نظر

تاريخي في لغة الاسپرانتو

l'Espéranto

١ . توطئة

يليق بي قبل ان اخط شيئاً عن اللغة الاسپرانتية التي اصبحت في عصرنا هذا ،منتشرة انتشاراً عظيماً في اربعة اقطار العالم المتمدن،ان اذكر،ولو على سبيل الاختصار، ما كان يدور في خلد لغويي الاعصر القديمة والحديثة فاقول : ان استنباط لغة صناعية تقوم مقام لسان ثانٍ عام لجميع البشر قاطبة ليس من تصورات او ابتكارات هذه السنين الاخيرة، بل يرتقي عهدها الى اوائل القرن السابع عشر واليك البيان : قام فريق من العلماء في ذلك الحين وارتأوا تأليف لغة جديدة تلم شعث المتكلمين، وتكون بمثابة لسان واحد للامم كلها على اختلاف درجاتهم، وتباين طبقاتهم، ومعارفهم، ولكن هذا الرأي لم يحل محلاً رفيعاً،لان الامة الغربية كانت يومئذٍ حديثة العهد بالمدنية والعمران

وعليه الق هذا الامر فى زاوية الاهمال والنسيان . بيد ان نخبة من علماء اللغة الاعلام لم يقعدهم ذلك عن التقدم فى هذا المضمار، بل جدوا كل الجد وسعوا سعيا حثيثاً، حتى كادوا يظفرون بضالتهم المنشودة، ويفوزوا بامنيتهم الخطيرة، التى وضعوها نصب اعينهم، الا انه اعترضهم فى سبيلهم بعض العقبات التى اودت بمشروعهم الحيوى وهو جنين، ومع هذا كله، اذا احصينا التآليف العديدة التى برزت الى عالم المطبوعات من عصر المطران ولكنس Bishop Wilkins فى القرن السابع عشر حتى الدكتور زمنهوف Dr. Zamenhof فى القرن العشرين وجدناها تنيف على خمسين لغة صناعية عرضت على انظار علماء فطاحل فرفضوها بتاتاً لوجودهم فيها شوائب جمة تشوه رونق محياها الادبى وقد انتقدها انتقاداً دقيقاً العالمان الفاضلان الدكتوران ل . كوتورات L. Couturat ول . لبو L. Leau فى كتابهما النفيس الموسوم بتاريخ لسان العالم Histoire de la Langue Universelle وقد اهتم منذ بضع سنوات نفر من ائمة اللغة فى ايجاد لغة صناعية تفى باحتياجات الناس فى عصرنا هذا الذى كثرت فيه المواصلات العمرانية ، والمراسلات التجارية ، والمكاتبات الادبية ، والمفاوضات السياسية ، الخ، حتى انه فى معرض باريس الملتئم عام ١٩٠٠ م عين فريق من ممثلى اللجان والجمعيات العلمية المختلفة اللسان والجنس والمكان، وارسلوا بمنزلة مبعوثين من قبلها ليتفاوضوا فى مسئلة استنباط لسان عام يكون معاوناً للغة كل المدن والامصار، ورابطاً لالسنة جميع الممالك والبلدان الشاسعة .

وكان قبل ذلك الزمان ، قد برز من مكمنه للميدان ، كتاب الدكتور زمنهوف، ونال قصب السبق فى حلبة هذا الميدان ، على جميع الكتب المصنفة فى هذا الشان ، فالتف حوله جل الادباء والكتاب على تفاوت مقامهم وقدروه حق قدره اذ وجدوا كتابه طبق المرام ، بل غاية ما كانوا يتوقعونه منذ اعوام ، فتعاهدوا اذذاك على نشر هذا اللسان الجديد ومعاضدته بكل قواهم

٢ لغة الاسبرانتو

ان مستنبط لغة الاسبرانتو هو لويز لازار زمنهوف Louis Lazare Zamenhof

طبيب روسي مشهور ولد في بيلوستوخ Bielostok من اعمال غرودنو Grodno في سنة ١٨٥٩ م وهو الآن حي يرزق وعمره نحو ثلاث وخمسين سنة والذي حمله على استنباط لغة جديدة صناعية ، كما عثرت على ذلك في احدى المجلات الانكليزية ، هو انه رأى منذ صغره الانقسامات الجنسية والمنازعات اللسانية ، الموجودة في مسقط رأسه بين اللغات الاربع التي كان الاهالي يتكلمون بها وهي: الروسية ، والپولونية ، والالمانية ، واليهودية . فهذه اللغات كانت تحارب الواحدة الاخرى لكي تلاشيها من تلك البقعة ، وكل من اصحابها يود لو كان في وسعه التشبث بلسانه والتعلق باذيال لغته فقط . على ان اختلاف الالسنة بهذه الصورة مما يولد النفور والنزاع بل ويبعث على العداوة والبغضاء بين المتكلمين على حد سواء . ولذا علق منذ ذلك الحين بذهن الدكتور الموما اليه ان ينشئ لغة جديدة تزيل بعض الزوال تلك العراقيل والمشاكل التي تؤدي الى خراب الممالك وانقراض الشعوب والقبائل . وكان يرى بفكره الثاقب ورأيه السديد الصائب انه يأتي زمان ترتفع فيه اكثر العداوات الجنسية واللسانية كما كان الحال قبل تبلبل الالسنة عند ما كان البشر يسكنون معاً في سلام وامان ، وراحة واطمئنان ، وان كنا نرى ذلك مستحيلا الآن ، ويكاد يعد من قبيل التوهمات والاوهام.

من درس حال الممالك ومسألة اللغات فيما يرى لاول وهلة كيف ان كل امة عزيزة الجانب نافذة الكلمة تريد ان توسع نطاق لغتها وتنشرها في اطراف المعمور . فخذ الانكليزية مثلاً او الافرنسية او الالمانية فكل منها تود لو كان في وسعها ان تنتشر وحدها في المسكونة باسرها وتمسي ملكة مطلقة تخر لعظمتها جميع اللهجات على اختلافها . ولما كانت هذه الامور مما يخالف روح الدكتور زمنهوف كل المخالفة كد فكره واسهر جفنه منذ صباه قضاء لهذه الحاجة العظيمة باختراعه لغة مستقلة عن سائر اللغات تمام الاستقلال لتكون بمنزلة دواء شاف لهذا الجرح الغير المشوه لجسم المجتمع الانساني حتى توفق اخيراً لاختراع لغة صناعية سماها الاسبرانتو اي الرجاء . وهي لغة علم وعمل للناس طراً وكان الاجدر به ان يدعوها لغة العالم .

وخليق بي ان اذكر شيئاً من اعمال وافكار هذا الدكتور الجهبذ قبل توصله الى نتيجة اتعابه الكثيرة . قلت فوق هذا انه عاق يذهن المخترع من ايام فتوته ان ينشئ لغة جديدة وبقي هذا الفكر ينمو ويزداد على مر الايام والسنين نمو جسمه وقامته .

لما كان هذا المستنبط تلميذاً في مدرسة الفنون في ورسوفية Varsovie فاول ماخطر له ان يحيي معالم احدى اللغات القديمة العلمية الميتة وكثيراً ماتردد في ذهنه وتصور امام مخيلته ان يتخذ اللاتينية في مهمته ولكن بعد ان تروى ملياً في تلك اللغة المهجورة الاستعمال اعرض عنها ، لانه رأى ان لغة بني الاصفر لاتناسب روح العصر ولا تفي بحاجات الناس فلو كانت تقوم بمطالب العالم وضرائر الاعمال لما اعرض عنها رجال العلم ووضعوها في زاوية الاهمال ؛ وعليه رجع الدكتور زمنهوف عن هذا الفكر كل الرجوع .

ولما لوى عنان فكره عن اللاتينية كان لسان حاله يقول أأتخذ الصينية ذات الفعل والاسم والاداة اذ اللفظة الواحدة تصح ان تكون تارة فعلاً وطوراً اسماً واخرى نعتاً ولا يستطيع الواحد ان يميزها مهما كان راسخ القدم فيها الا باضافة الفاظ اخرى ذات معانٍ مستقلة عنها تمام الاستقلال .

ام اتخذ العبرانية العزيزة عند ذويها والرفيعة المنزلة في اعين اصحابها ؛ مع انها ناقصة المبنى والمعنى ، خالية من محاسن الفصاحة والبلاغة مفتقرة الى صيغة لافعل التفضيل ونحوها ؛ فان العبرانيين اذا آثروا امراً على آخر عبروا عن الاول بكلام موجب وعن الاخر بمنفي كما نرى ذلك جلياً في الاسفار المقدسة فقد ورد في سفر هوشع وغيره « اني اريد رحمة لا ذبيحة » والمراد بالرحمة عندي خير من الذبيحة ومثل ذلك شيء كثير ولا يعرب الكلام عندهم بالحروف النهائية كما في اللاتينية واليونانية ولا بالحركات الاعرابية كما في العربية ولهذا كثيراً ماينشأ عن ذلك اشكال والتباس وغموض وابهام . وماذا عساني ان اقول عن كثير من الالفاظ التي لاتدل دلالة صريحة على المراد بها فهذه لفظة « عالم » ومعناها « الابد » الا انها لاتدل دائماً على مطلق الابدية بل كثيراً ما ترد للدلالة على مدة طويلة غير معينة وهكذا قل عن غيرها من الالفاظ التي يطول الشرح في سردها وتعدادها .

ام اوجه انظاري نحو اللغة العربية المعدودة من افصح اللغات واوسعها في المترادفات ؟ مع انها والحق يقال تفتقر الى توسيع نطاقها العلمي وتهذيب الفاظها فضلاً عن وعورة مسالكها في اختلاف حركات مفرداتها وصعوبة التلفظ بحروفها الحلقية وكثرة قواعدها وشواردها في الادغام والاعلال ونحوهما ووفرة اوزان جموعها حتى ان اغلب الناطقين بالضاد لايحيطون بها علماً .دع عنك تنازع نحويها الكوفيين والبصريين في امور ومسائل تافهة جداً لا فائدة فيها ولا عائدة .

ام احيي رفات اللغة الارامية اي لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا الاطلال الدوارس في مدينتي بابل واشور الامريقتين في المدنية والحضارة في الازمنة الغابرة فبعد ان انعم النظر واعمل الروية في هذه الخواطر التي مرت امام مخيلته من الامور المتجسمة عزم على ان يستنبط لغة جديدة لاعلاقة لها البتة بغيرها من اللغات القديمة ام الحديثة ومنذ ذلك الحين شرع باستنباط لغة صناعية بسيطة التركيب سهلة المأخذ خالصة من الوعورة والشواذ تمكن الطالب من ان يصرف زماناً يسيراً جداً في تحصيلها واتقانها بل والاخذ بناصيتها .

ثم اخذ بعد ذلك وهو في الكلية بتاليف كتاب في اصول هذه اللغة اي غراماطيق منتزاً لذلك الفرص واوقات الراحة ولم يكن قد جاوز عمره اذ ذاك التاسعة عشرة ولا تسأل عن شدة فرحه عند انجازه عمله لانه كان باكورة اتعابه الكثيرة وبعد ذلك طارد فه بمعجم موجز هذا ولكي لايعجز القارئ الكريم عن سردنا جميع مافتكر وعمل به وكيف الف كتبه وجمعها وانتق الكلمات والالفاظ ودلها على مارأى موافقاً لمصلحته . نترك هذه الامور لمن يريد استقصاء البحث بنفسه ونتقل المطالع الاريب الى سماع ماهو افيد واحضر .

في سنة ١٨٧٨ ظهرت بعض اعمال الدكتور من حيز الفكر الى عالم الوجود وسمى لغته الجديدة "Langue Universala" اي اللغة العامة ؛ ولم يكن قد زايل الكلية الى ذاك وليس له اشياع ولكن بعد ان اوقف ؛ فقاه

على مشروعه واخبرهم بجلية الامر، وعزمه الذي احيا الليالي الطوال لاجله، عاهدوه على استعمال لغته الجديدة فيما بينهم، ونشرها في الخارج اذا رأوا لذلك سبيلاً . واستمروا مدة يسيرة يخاطبون بها الى ان انهوا دروسهم الطبية، ثم تفرقوا في طول البلاد وعرضها لطلب الرزق او للاخذ بمهنتهم، وبعد ذلك رأى المؤلف انه وحيد فريد لا ناصر له ولا معين كما كان في اول الامر، ثم رأى بنفسه ان في لغته بعضاً من الشوائب وشيئاً من الخلل وهي لا تفي كل الوفاء بالغرض الذي كان يتوخاه، فعزم من جديد على تنقيحها، وقد اصبحت بعد ذلك اللغة المعروفة الآن بالاسبرانتو .

ان المخترع لم يواصل سيره في مشروعه بعد خروجه من الكلية لاسباب منها تراكم الاشغال على عاتقه، وقصر الوقت الذي في يده لانه كان يصرف جل اوقاته في الدرس والمطالعة لاتقان المهنة التي ألا على نفسه ان يتعاطاها لتحصيل قوته، واود معيشته هذا ومشروع مثل هذا المشروع محفوف بعراقيل ومشاكل هذا عندها ليس بالامر السهل انجازه . ولما كانت همم الرجال تقلع الجبال ولا تعرف معنى للكلل والنصب بل تنتصر دائما على تذليل العقبات التي تحول دون بلوغ الامنية، كما حدث مثل ذلك لغيره من مشاهير الرجال والنساء الذين يعدون بالمئات لا بل بالالوف . توفق هو ايضاً في مشروعه هذا فانقشعت غيوم العوائق المتلبدة في سمائه، وحصل على وقت مكنه من ان يستانف مشروعه المهجور، ويعيد النظر في تحقيق الكلمات وتدوينها والتلفظ بها ويضع لها معاني ثابتة، ثم رسم القواعد، وضبط اصول اللغة كما يجب لئلا ينتقد عمله ويعاب بشيء . فلما اتم ذلك عرض لغته هذه على بعض اصحاب الذوق السليم والنقد الدقيق فاستحسنها اغلبهم . ثم صرف بعد ذلك سنتين كاملتين في البحث والتنقيب عن ناشر لها بين الناس ليتم استعمالها، فلما عيل صبره ولم يعد في وسعه التربص عن بث لسانه الجديد اخذ مسألة الطبع والنشر على عاتقه وطبع كراسة على نفقته في عام ١٨٨٧ .

يدعي الدكتور زمنهوف ان من يدرس اصول لغته الاسبرانتية درساً صادقاً يحيط بها في ساعة من الزمان ، بيد ان ذلك اذا كان ممكناً لبعضهم فهو ليس

كذلك للجميع . الا ان الواحد قد يحيط باغلب قواعدها فى تلك المدة اليسيرة لانه لا يوجد فيها افعال شاذة ، ولا تصاريف عديدة ، ولا جمع غير قياسى ، الى غير ذلك ويمكن ان اصرح على رؤوس الملا قائلا : انه ليس امراً مستحيلا ان يتقن المطالع هذه اللغة فى شهر واحد اذا كان حاذقاً وله الملم باحدى اللغات الاوربية ، بحيث يصبح عالما جميع قواعدها ويمكنه التكلم والكتابة بها ؛ وكلمات هذه اللغة لا تجاوز الستمائة لفظة قد طوى تحتها جميع الاسماء والافعال والحروف بصورة متقنة اى اتقان حتى انها لا تثقل على كاهل المتعلم اذ يستطيع ان يصيغ منها عبارات واصطلاحات ولو كان من اجلاف اهل البادية .

ان الادوات التى توضع فى صدر الكلمة وفى مؤخرها توفر اتماماً جمة للطالب لانها تساعده على انشاء كلمات جديدة مختلفة كما يشاء وبقدر ما يشاء ، مثاله لفظة mal (مال) التى توضع فى صدر الكلام فهى تدل على معنى الخلاف او الضد فاذا اتينا بكلمة اخرى ووضعناها وراءها اكتسب معنى الثانية ظهراً لبطن . ثم خذ كلمة bona (بونا) التى تعنى صالحاً اوجيداً فاذا قدمنا عليها mal وقلنا « مال بونا » malbona كان معناها رديئاً اوشريراً ومثلها alta (آلتا) طويل فاذا قلنا مال آلتا « malalta كان المراد منها قصيراً و« استيمى » estimi اعتبر فاذا قلنا : « مال استيمى » mal estimi كان معناها احتقر .

وعلامة التأنيث فى الاسبرانتو in « ان » فاذا اردنا ان نقلب المذكر مؤنثاً اتينا بهذه الاداة ووضعناها قبل الحرف الاخير ، واذا بالمذكر اصبح مؤنثاً مثاله : frato « فراتو » اخ fratino « فراتينو » اخت . فبهذه الوسائط والاساليب السهلة يستطيع الانسان ان يحفظ مئات من الكلمات بوقت وجيز وترسخ فى ذهنه اشد الرسوخ لانها لا تكلفه مشقة تذكر .

وقد امست الآن هذه اللغة ناقمة كل النقم بل تفوق باقى اللغات بنفعها ، وذلك لعدة وجوه منها انه اذا اتقنها الواحد مع اشار قومه وبلاده تكون له بمثابة عدة السن تكفيه مؤونة الترجمان والمصاريف الباهضة التى كان يتكبدها السياح والتجار وغيرهم ساقاً . فلا

عجب اذا رأينا يوماً هذه اللغة قد انتشرت كل الانتشار في اقاصي البلاد وادانيها بعد ان رأينا فيها من السهولة وقصر الوقت في تعلمها مالا يرى لها شبيه فيما يعهد اليوم من اللغات الحية.

وقد طبعت في مانيف على اثنى وعشرين لغة، وترجم اليها افخر الكتب وانفسها كهاملت لشكسبير الشاعر الانكليزي الطائر الشهرة والالياذة لهومروس الشاعر اليوناني الذائع الصيت وغيرها واليوم ينشر بهذه اللغة كتب ومجلات وجرائد عديدة لا محل لذكرها في هذه المجالة وقد اكتفينا بالاشارة عن الاطالة خوفاً من احداث الملل في نفس القارئ. وبهذا القدر كفاية.

رزوق عيسى

نقد الجزء الثاني من كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان

Observations Critiques sur l'Histoire de la littérature arabe, de Mr. Georges Zeïdan (2 volume.)

انتقدنا الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس، ووعدنا القراء بنقد الجزء الثاني، وهو يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ ويدخل فيه تكون العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى تضيع العلم في اواسط القرن الخامس للهجرة.

وهذا الجزء بوجه العموم احسن ترتيباً من اخيه البكر واقل اغلاطاً. ولا بدع في ذلك لان مآخذ المؤلف ومستمداته هنا مدونة قريبة التناول بخلاف مواضيع الجزء الاول، فان المشارع التي يردها الكتاب بعيدة الشقة والغور ولهذا قل من كتب في ذلك الموضوع الا وغلط اغلاطاً جمة. وقد فاق المؤلف سواه هنا لانه بعيد النظر في التاريخ راسخ القدم فيه. ولهذا اصبح تأليفه سنداً يعتمد عليه شاء القوم أو أبوا. على اننا رأينا فيه بعض الامور نعرضها عليه؛ لعله يرى فيها ما يجيبنا عنها، ويكفينا انتقاده فيما بعد. ونحن نقسم كلامنا هذا ثلاثة اقسام كما فعلنا في انتقادنا عليه الجزء الاول، ونزيد هنا نظرة عامة فيه فنقول: